الفصل الثامن

مشكلة الجنس

كان من بين مجموعة الرسوم التى نشرها السير سيرل بيرت فى فصل خاص تحت عنوان «رسم رجل» ، فى كتاب له عن الاختبارات التربوية والعقلية ، رسم من صنع مراهق صغير . وكان ذلك الرسم يختلف عن سائر رسوم الصغار فى أنه « يسرد قصـة » ، إذ كان يمثل رجلا فى ملابس عادية ، متجهاً نحو منزل ، وفى يده باقة من الزهور . وجلىّ أن القصة ذات طابع عاطفى ، فقد كان الرجل فى طريقه إلى سيدة يحبها ، وقد حمل إليها هدية من الورد . فالقصة توحى باهتمام الفنان الصغير بالعلاقة التى تقوم بين الشبان والشابات ، كما تشير إلى إلمامه بآداب السلوك التقليدية التى تراعى فى مثل تلك العلاقات .

وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة عدة مؤلفات فى العلوم الإنسانية ، تبحث بوجه خاص فى موضوع قيـام العلاقات بين أفراد الجنسين عند الشعوب التى تختلف عنا فى نوع الحضارة ، نذكر منها على سبيل المثال كتاب « الحياة الجنسية عند المتوحشين »[1] الذى كتبه لطلبة الدراسات

(1) Malinowski's " Sexual Life of Savages ".

الإنسانية والاجتماعية الأستاذ مالينوسكى أحد النابهين من علماء الإنسانيات. وقد لاقى الكتاب رواجاً كبيراً فى أوساط القراء العاديين . كما أن دراسات الدكتورة مرجريت ميد[1] فى طرق معالجة مشكلة اختلاط الجنسين فى المجتمعات البدائية فى ساموا وغينا الجديدة ، أثارت اهتماماً ملحوظاً عند الكثيرين من غير علماء الإنسانيات أو علوم الاجتماع والتربية ، وكان نشر هذه الدراسات فى طبعات زهيدة الثمن سبباً فى انتشارها بين أفراد الشعب . فالرغبة فى معرفة « طرق أخرى » لمعالجة المواقف المختلفة ترجع من ناحية إلى مجرد حب الاستطلاع ، ولكن مما لا ريب فيه أنها تعبر أيضاً عن عدم الارتياح إلى الطرق السائدة .

وقد يشير بعض الراغبين فى الإصلاح بنبذ النظم القائمة ، واقتباس النظم المتبعة فى بلاد أخرى بدلا منها . ولكن الناقد الحصيف يتساءل قبل كل شىء عن أسباب عدم الرضا عن النظم القائمة ، أهى راجعة إلى نقص فيها ؟ أم إلى طريقة استخدامنا لها ؟ أم إلى الأمرين معا ؟ وأغلب الظن أنه سيميل إلى الأخذ بالرأى الأخير ، لأنه يعلم أن هذه النظم قد نمت وتطورت أثناء تاريخنا ، وكثيراً ما كنا نلائم بينها من وقت لآخر و بين ما يطرأ على بناء المجتمع من تغير ، كما أنها لا زالت فى طور التغير والتطور . ولذلك يرى أن قيمة دراسة نظم حياة الشعوب الأخرى تتوقف على أنها تكشف لنا بوضوح عن طبيعة المشكلة التى نحاول أن نجد لها حلا .

---

(1) Dr. Margaret Mead.

ونظام الزواج أساسه إقامة علاقة ثابته بين رجل وامرأة ، تمهد لهما السبيل لحياة مشتركة ، تفضى فى معظم الأحيان إلى انجاب الأطفال ، وتكوين الأسرة و إعانتها . ومن الواضح أن مثل هذه الفكرة عن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وهى الفكرة الملحوظة فى شتى أنواع قوانين الزواج وتقاليده تتجاوز مجرد إشباع الرغبات الجنسية . فعدد الأفراد الذين يستطيع الشخص الاتصال بهم لإشباع هذه الرغبات كبير حقاً ، ولكن عدد الذين يمكن أن يشاركوه حياته قليل كما أن عدد الذين فى مقدوره أن يتعاون معهم على القيام بعبء تكوين الأسرة المعقد أقل من ذلك . وقد ينادى غلاة المثاليين بأن كل شخص فى العالم لن يجد من بين الناس جميعاً سوى شخص واحد فقط يصلح لأن يكون له رفيقاً كاملا تتوافر فيه جميع المزايا التى يتطلبها . ولا يسمح المجال لأن نتعرض لمناقشة هذا الرأى ، ولكن يكفى أن نقول أن من الواضح أن نمو الكائن الحى كفرد فى جماعة يتوقف على طائفة من الحاجات والميول ، تحدد إلى درجة كبيرة عدد أفراد الجنس الآخر الذين يستطيع اختيارهم رفقاء لحياته ، فيشركهم فيها إشراكا أبدياً يشوبه الانسجام والسعادة .

ويتفق معظم الناس معنا على صحة هذا الرأى لا فيما يتعلق بأنفسهم فحسب ، بل وفيما يتعلق بأكثر الشعوب الأخرى أيضاً . وبعض الشعوب تشجع من ينجحون من شبابها فى اجتياز اختبارات التدشين التى تعقدها لهم على إقامة علائق مؤقتة بينهم وبين أفراد الجنس الآخر ، وهى علائق

لا يترتب عليها أى نوع من الالتزامات . كما يُسمح لها بأقصى درجات الحرية الجنسية ، بشرط اتباع تعليمات معينة يقصد بها الحيلولة دون إفضاء هذه الاتصالات الجنسية الطليقة إلى النسل .

ولكن هذا الإسراف ليس مما تتقبله بعض الشعوب الراقية لمنافاته لقواعد الأخلاق والدين . ولكنه مع ذلك يعتبر محاولة لمعالجة المشكلة الناجمة عن حاجة الشباب إلى اختيار رفقاء الحياة . وإذا ما انصرفنا عن إحدى الطرق لأسباب تتعلق بالدين والأخلاق ، فلا بد لنا من البحث عن طريقة أخرى .

من المعروف أن النزعات الجنسية عند الشباب الناضج تكون من القوة والعرامة بدرجة تعمى أبصارهم ، ذكوراً كانوا أم إناثا ، عن كل شىء سوى أن الشخص الذى وقع عليه اختيارهم يثير فيهم الرغبة الجنسية « فالحب » بهذا المعنى المحدود حب أعشى ، لا يمتد بصره إلى أكثر من إشباع تلك الرغبة ، وإذا ما تحقق الإشباع الجنسى مرة واحدة تفتحت العيون ، وبدأ الشاب ، أو الشابة ، يدرك أن الرفيق الذى كان قد بهره من قبل لا يصلح لأكثر من مجرد المتعة الجنسية . وهكذا يرى كيف أن استسلامه لفورة الحوافز الجنسية جعله سريعاً إلى التصريح بحبه ومقاصده ، والإيمان بها ، بسبب ما أنزلته الرغبة على بصيرته من غشاوة . ولكن الأوهام لا تلبث أن تتبدد أمام الحقائق الصارمة ، فيصبح راغباً فى التحلل من قيود وعده . ولقد كان تكرار حدوث هذا الموقف ، وإدراك ما يترتب

عليه من مشكلات اجتماعية ، سبباً فى ظهور نظام الطلاق ، وتيسير فصم عرى الزوجية .

ولكن الطلاق أيضاً ليس حلا للمشكلة ، بل إنه لا يزيد على كونه اعترافاً بأخطاء تكرر وقوعها ، ونظاماً وضع نحو هذه الأخطاء تمهيداً لبدء المحاولة نفسها من جديد . ومثلنا فى هذا مثل الذى يخفق فى تعليم تلاميذه الرسم ، أو الذى لا يبذل أية محاولة لتعليمهم إياه ، ولكنه يزودهم بكمية من المماحى الجيدة ، فقد نجم عن سهولة الطلاق أن تعددت حالاته ، فتفاقمت المشكلة ، لأن الطلاق يحرم الأطفال من الأمن الذى هم فى مسيس الحاجة إليه ، والذى لا يتاح لهم إلا فى محيط الأسرة السعيدة المتماسكة ، كما أنه يشتت إخلاصهم و يوزعه مما يؤدى إلى القلق النفسى ، وما يصبه من شتى أنواع المتاعب ، والحرمان من فرص النمو السوى . فكما تفضى سهولة تصحيح الأخطاء فى العلوم المختلفة إلى الإهمال ، فإن سهولة الطلاق تؤدى بالمثل إلى الاعتقاد بأن اختيار رفيق الحياة ليس بالأمر الهام .

وعندما أدرك الناس أن خبرة الناشئين قاصرة عن إرشادهم إلى تقدير شتى العوامل التى تجعل اختيار الزوج موفقاً ، ظهرت النزعة عند بعض طبقات المجتمع ، و بعض البلاد ، إلى رفع عبء الاختيار عنهم ، ووضعه على كاهل الآباء ، أو كبار أفراد الأسرة . وعندئذ أصبح الاختيار أمراً عائلياً لا شخصياً ، إذ يأخذ ممثلو الأسرتين في وزن الظروف الاقتصادية والاجتماعية للعروسين ، ومناقشة ما تستطيع كل أسرة منهما المساهمة به

من مال لإتمام الزواج ، وغير ذلك من الأمور ذات الأهمية النسبية ، كما تستفسر كل منهما عن الصفات الشخصية لمن تمثله الأسرة الأخرى . كل تلك الأمور تكون فى العادة موضع عناية المهتمين بالأمر وتدقيقهم ، لأنها ستكون فيما بعد ذات تأثير على الأسرتين . أما الذى لا يتعرضون له ، ولا يستطيعون التحدث فيه ، فهو مدى جاذبية كل من المزمع عقد زواجهما فى نظر الآخر من الناحية الجنسية ، وهو الأمر الذى ينصرف إليه تفكيرهم دوما إذا ما خلوا إلى أنفسهم .

وينتج عن ذلك أننا نجد فى كثير من الجهات التى لا يقوم فيها الفرد بنفسه باختيار شريك حياته ، أن يسلم الناس بأن الشبان ، دون الشابات ، يستطيعون ممارسة الاتصالات الجنسية الوقتية ليشبعوا رغباتهم الجنسية . وهكذا تنشطر مجموعة العوامل التى تؤثر فى إتمام الزواج إلى شطرين ، أحدهما يتعلق بالزواج الدائم الذى يعترف به المجتمع ، والآخر يتعلق بالاتصالات الجنسية غير الشرعية . وقبول هذا الوضع يصل إلى مرتبة الاعتراف بأن الإجراءات المتبعة ليست حلا ناجعاً للمشكلة .

وقد كانت الحرية المطلقة فى اختيار الفرد بنفسه لزوجه مبدأ سائداً بين معظم طبقات الشعب البريطانى فى بادىء الأمر . فمجرد أن يتقابل اثنان من الجنسين ، ويشعر كل منهما بميل نحو الآخر ، فإنهما يدبران مواعيد أخرى للقاء ، ثم يدعو كل منهما الآخر لمقابلة باقى أفراد أسرته . وتستمر الزيارات والمقابلات ما لم تكن هناك أسباب قوية تدعو الآباء إلى

الاعتراض عليها . ويظل الحال على هذا المنوال حتى يتفقا فى النهاية على الزواج ، وغالباً ما يكون ذلك مشروطاً بموافقة أسرة الفتاة على الأقل . وعندئذ يقدم الشاب إلى فتاته خاتماً كرمز على عقد الاتفاق الذى يطلق عليه اسم « الخطبة » . ويعتبر فسخ الخطبة اخلالا باتفاق يعطى الفتاة الحق فى رفع الأمر إلى القضاء ، والمطالبة بتعويض مالى . كذلك يحدث فى بعض الأحيان أن تحنث الخطيبة بوعدها بالزواج ، وعندئذ يستطيع الخطيب مطالبتها بتعويض مالى أمام القضاء . ومن المسلم به أن يخلص الخطيبان كل منهما للآخر إبان فترة الخطبة ، وأن تنتهى الخطبة بالزواج ، أو باتفاق مشترك على فسخها .

وتتيح فرصة التعارف التى تسبق الخطبة ، وكذلك فترة الخطبة ذاتها ، فرصة طيبة لأن يعرف كل من الخطيبين زميله معرفة تامة قبل الإقدام على الزواج منه بصفة نهائية ، إذ يتصل كل منهما بأسرة الآخر ، ويقابل أصدقاءه ، ويمضى معه أيام العطلات ، ويتعرف اتجاهاته وميوله وأذواقه ، وكذلك مواطن ضعفه ونقائصه . ويعنى القوم فى بريطانيا بألا يحدث اتصال جنسى بين الخطيبين قبل الزواج ، وبضرورة ضبط النفس فى حالات الإغراء . ولهذا فإن الفترة الطويلة التى تنقضى بين اللقاء الأول والزواج تمهد السبيل لأن يختبر كل منهما الآخر ، ويعرف كل شىء عنه ، وبهذا يعلمان ما إذا كانت الجاذبية الجنسية متبادلة بينهما ، وما إذا كان لديهما من الميول المشتركة ما يكفى لاستمرار روح الصداقة والاحترام

بينهما ، ولنزول كل منهما على رأى الآخر ورغباته ، ولبقاء التعاون والمحبة متبادلة بينهما ، وللاهتمام بنفس الأشخاص وأنواع النشاط . ولهذا يرجح جدا أن تؤدى طريقة الاختيار هذه إلى اتحاد ناجح دائم ، لا اتحاد عابر يجىء وليد الميل الجنسى وحده ، أو يقوم على اختيار كبار أعضاء الأسرة ، أو تحدد بمجموعة من القواعد والقوانين كما هو الحال فى بعض المجتمعات

والحلقة الأولى فى هذا النظام أضعف حلقات السلسلة جميعاً . فقد تكلمنا عن التقاء شخصين أحس كل منهما نحو الآخر ميلا قوياً ، كما أثار اهتمامه به بدرجة كانت كافية لتنمية أواصر التعارف بينهما . ولكن مما لاشك فيه أنه لو أتيح لمثل هذين الشخصين الاتصال بعدد كبير من الناس ، فمن المحتمل جداً أن يلتقيا بأشخاص أشد جاذبية ممن يكون قد استهواهما ، وأكثر صلاحية للزواج الناجح . ويولع كتاب القصص العاطفية بموضوع السيدة التى ظلت تحيا حياة زوجية هانئة عدة سنوات ، حتى ظهر فى أفق حياتها رجل صادف من نفسها هوى مكينا ، لدرجة أنها غدت على استعداد لهجر زوجها و بيتها ؛ وتناسى أيامها السعيدة الماضية حتى تربط مصيرها بهذا الحبيب الدخيل . و إنها لتأسف كل الأسف على أنها لم تلتق به من قبل . ولكن مثل هذه المواقف ليست مألوفة بالدرجة التى يعتقدها الروائيون ، و إن كانت تحدث بالفعل فى بعض الأحيان . وقليل من التفكير فى هذا الأمر يجعلنا نسائل أنفسنا عما إذا كانت الفرص التى تتاح لاختلاط المراهقين بالمراهقات من النوع السليم الذى

يكفى لحسن التلاقى والتعارف ، أم أنها من النوع السيء المحدود .

وبحث هـذا الأمر يتطلب منا العناية بموضوع لم نتعرض له حتى الآن ، وهو موضوع نوع الاتجاهات التى تظهر عند الفتية والفتيات فى الأوقات التى يلتقون فيها بعضهم ببعض .

ولقد يبدو أن اهتمام صغار الأطفال بعضهم ببعض ليس من النوع العاطفى ، وحتى إذا لاحظوا الفروق الجسمية بين الجنسين ، فإنهم لا يفكرون فى ربطها بفروق وظيفية ، بل يروق فيها مظاهر النقص فى التكوين ، مقصور على الإناث . وهذه النظرة ليست وقفاً على البنين وحدهم ، بل تشمل البنات أيضاً . ويترفق الصبية أحياناً بالبنات فى معاملتهم بسبب ما يعتقدونه فيهن من نقص ، كما أنهم فى أحيان أخرى يتخذون من هذا النقص مادة لمشاغبتهن وامتهانهن . ولا يعنى الصبية بصفة عامة باللعب مع البنات ما داموا يجدون رفاقاً من جنسهم يشاطرونهم لعبهم . كما أنهم كثيراً ما يؤكدون عجز البنات عن أداء أعمال معينة . وتظهر فى ألعاب الصغار نزعة قوية إلى قسمتها إلى نوعين متمايزين هما ألعاب الذكور ، وألعاب الإناث وكذلك الحال فى صنوف اللعب . وتتميز اتجاهات البنين والبنات ، كل منهم إزاء الآخر ، بصبغة لينة مشوبة بالحسد والازدراء ، وهذا اللين يرجع إلى عدة عوامل .

وأفلام السينما التى يراها الأطفال تكون فى العادة من النوع الموضوع للكبار ، إذ تدور حول الحب والعناق والقبلات . ولذلك قد

يظن أنهم لا يكترثون بها كثيراً . كما أن الكثيرين من الكبار لا يهتمون بمشاهدة الأطفال لها ، أو عدم رؤيتهم إياها ، وذلك لأنهم يعتقدون أن أولئك الأطفال لم يبلغوا بعد السن التى تتيح لهم فهمها . ولكن صحة هذا الاعتقاد تتوقف على ما يقصدونه بلفظ « الفهم » .

وليس ثمة ريب فى أن الأطفال تنتابهم من حين لآخر نزعات قوية من الحب ، كما يحدث مثلا عندما يبدى آباؤهم نحوهم عطفاً مفاجئاً ، فيندفعون من تلقاء أنفسهم إلى تقبيل الأب أو الأم ، أو عناق طفل آخر. ولكن الدافع إلى هذا السلوك مختلف كل الاختلاف عن الدافع الذى يجعل الرجل والمرأة يتبادلان القبل الطويلة الحارة على الشاشة البيضاء ، أو يمثلان شتى ألوان السلوك الذى ينبىء عن الحب . والطفل لا يستطيع الإجابة عن السؤال الذى يشرق فى ذهنه عن أسباب ذلك السلوك . ولعل الكثيرين من قارئى هذه السطور كثيراً ما سمعوا فى بعض دور السينما طفلا يسأل أمه فى صوت رفيع حاد : « لماذا يقبل هذا الرجل تلك السيدة يا أمى ؟ » .

و يتحدث عارضو الأفلام ، الذين لا يعنيهم أمر البحث عن الدلائل المؤيدة للنظريات النفسية ، عن عدم اكتراث صغار الأطفال بالمشاهد الغرامية ، وعما يبدو على بعضهم من مظاهر السآمة ونفاد الصبر ، أو الكره الحقيقى (وقد استخدم لفظ « البغض » أحد المديرين الأذكياء المدققين فى الملاحظة ، وكان يدير إحدى دور سينما الأطفال الناجحة فى

لندن) . أما المراهقون والكبار فإنهم يولعون بالأفلام الغرامية ولعاً شديداً كما يدل على ذلك الربح الجسيم الذى يجنيه أصحابها منها . ولذلك يبدو أننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن « فهم » المواقف العاطفية والسلوك الجنسى لا يكون إلا فى مرحلة المراهقة وما بعدها .

وقد قام بدراسة هـذا الموضوع بصورة أخرى نفر من علماء البحث الذين قاموا بسلسلة من الدراسات كان الغرض منها استقصاء استجابات الأطفال لبعض الأفلام التى أخرجت منذ عدة سنوات فى الولايات المتحدة لهذا الغرض . ولم يعتمد أولئك العلماء على ما ذكره الأطفال أنفسهم عن مقدار ميلهم لمشاهدة المواقف الغرامية ، أو مدى فهمهم لها ، بل استخدموا آلات تسجيل خاصة توضع حول أرساغ الأطفال . فكان ما سجلته تلك الأجهزة دليلا مباشراً على أن عرض أمثال تلك المشاهد يثير انفعال الأطفال . فالطفل يهتم بها ويستجيب لها كـكائن حى ، على الرغم من أن مرحلة النمو العقلى التى بلغها لم تكن لتتيح له فهمها . ويمكن التعبير عن ذلك فى لغة التحليل النفسى بقولنا إن فهم الموقف يكون حبيساً فى اللاشعور بسبب كبته وطرده من الشعور . وهذا يتفق تمام الاتفاق مع نتائج بحوث التحليل النفسى ، إذ تشير هذه النتائج إلى أن المناظر الجنسية ، والمواقف الغرامية ، تكون ذات مدلول عميق بالنسبة للعقل اللاشعورى عند الطفل . بل وعند الوليد أيضا ، على الرغم من أنها تبدو غير ذات معنى بالنسبة لعقله الشعورى . وهذا يؤثر تأثيراً بالغاً على ضروب السلوك التالية ، حتى لو لم

تسترجع هذه المشاهد بشكل شعورى .

ونستطيع فى ضوء هذه الاكتشافات أن نفهم ما يعنيه عارض الفلم بقوله إن الأطفال الذين يرتادون داره — وهم عادة ممن بلغوا العاشرة أو الحادية عشرة أوالثانية عشرة ، من عمرهم على وجه الخصوص — «يبغضون» المشاهد الغرامية التى تظهر فى الأفلام . فالبغض نتيجة طبيعة للإخفاق الجزئى فى الكبت الذى يحمى الأطفال فى المراحل المبكرة من طغيان النزعات الجنسية التي لم يستعدوا بعد للاستجابة لها بشكل ملائم . أما فى المراحل التالية فإن هذه الاستجابات الدفاعية تصبح غير ضرورية ، إذ يقل الكبت أو يختفى ، وعندئذ يستمتع الناشىء بتلك المشاهد . ولكن الخبرات المتصلة بالأفلام التى أشرنا إليها تزودنا بعدد من الأدلة المنبئة عن حدوث شىء حقيقى إبان النمو ، هو الخوف الجنسى ... وهو خوف ينتقل من النزعة الجنسية ذاتها إلى موضوعها ، أو بعبارة أخرى أننا نجد أن الأولاد والبنات يخشى بعضهم بعضاً ، وكلما ازدادت الجاذبية قوى هذا الخوف الجنسى .

وتحاول الكائنات البشرية عندما تخشى شيئاً أن تحتفظ باحترامها لنفسها عن طريق ابتداع أسباب معقولة لهذا الخوف . وهذا ما يطلق عليه اسم « التبرير[1] » . وبهذه الطريقة ذاعت الخرافة القائلة بأن المرأة مخلوق غامض ، تكتنف حياته الأسرار التى تدق على فهم الرجل ، كما ذاعت بين النساء خرافة شبيهة بهذه عن الرجال . ومن ثم ساد الاعتقاد

(1) Rationalisation.

بأن فى الإمكان إقامة علاقات سوية متزنة بين الرجال والنساء ، أو بين المراهقين والمراهقات ، إذا ما زودنا كل فريق منهما بقسط وافر من الحقائق عن الفريق الآخر . وهذا هو المبدأ الذى يقوم عليه التعليم الجنسى .

ولكن هذا المبدأ يتضمن مغالطة منطقية ، لأننا إنما نعالج تبرير الخوف لا سببه الحقيقى . فالتعليم الجنسى قد يقضى حقيقة على شعور الخوف الذى يحس به أفراد أحد الجنسين نحو أفراد الجنس الآخر ، والذى يتخذ صوراً مختلفة مثل الحياء الشديد ، والإسراف فى حب الظهور ، هذا إذا كان « العموض » الذى يحيط بأفراد الجنس الآخر هو السبب الحقيقى . ولكن الحقيقة أن بواعث الخوف تختلف عن ذلك ، لأن الخوف إنما هو نتيجة لمحاولة التعبير عن المشاعر الجنسية بقصد حماية الذات .

وينبغى ألا يؤخذ رأينا هذا على أنه اعتراض على التربية الجنسية ، فإن العكس هو الصحيح ، ولكننا مع ذلك أردنا توجيه الأنظار إلى أن قيمة التربية الجنسية ليست من النوع الذى يظنه الكثيرون .

ولعل المثال التالى يوضح ما نرمى إليه : حدث إبان الحرب الأخيرة أن نظمت طائفة من المحاضرات عن الوقاية من القنابل لإلقائها على فرق الدفاع المدنى والجنود ، بسطت لهم فيها أنواعها ، والمواد التى تعبأ بها وطرق اشتعالها وتفاعلها . واستعين فى توضيح ذلك بعرض صور ورسوم للقنابل المختلفة ، وكذلك بعض القنابل الحقيقية ، كما قام الطلاب بزيارة المناطق التى أصيبت أثناء الغارات الجوية لدراسة شتى أنواع الآثار المترتبة على

انفجار مختلف أنواع القنابل

بيد أن كل ذلك لم يخفف من خطر القنابل ، ولم يزود الذين تعلموه بأى قدر من الحصانة ضدها . كما كان من المستحيل أن يقوم مقام الخبرة الحقيقية بهذا الضرب من الخطر . ولكنه مع ذلك كان ذا فائدة قصوى ، إذ أنه درب طائفة من الناس على فهم ما يدور حولهم ، ومن ثم بات فى وسعهم أن يلائموا بين سلوكهم و بين سرعة الظروف التى تمر بهم . وهكذا تعلموا فى النهاية ما كان عليهم أن يقوموا به أثناء الغارات الجوية ، الأمر الذى يجهله غيرهم ممن لم يتلقوا التدريب الذى حصلوا عليه . فكان لسلوك المتمرنين علاقة مباشرة بأخطار الموقف الحقيقية ، أما غير المدربين فلم تكن لهم بهذا الموقف علاقة حقيقية ، ولذلك لم يكن فى وسعهم أن يفهموه .

ويمكننا أن نتوقع شيئاً شبيهاً بهذا من وراء التعليم الجنسى الصحيح فالمراهق الذى يتلقى بعض المعلومات عن أعضائه الجنسية ووظائفها لن يرى فى الفروق الجنسية مبرراً لتفوق الرجال على النساء . بيد أننا لو ذهبنا إلى أبعد من ذلك ، وتوقعنا اختفاء الخوف الجنسى بسبب قضاء التعليم الجنسى على « الغموض » الذى أشرنا إليه ، فلا ريب أننا نتعرض للخطأ .

وقد سبقت الإشارة فى فصل سابق إلى أمر ما فتىء العلماء يؤكدونه عن نمو الأطفال ، وهو أن النمو السوى لصغار الأطفال رهن بما يحصلون عليه من الحب والأمن . ولكننا قليلا ما نعنى بتأكيد أن الكائن

البشرى فى حاجة إلى الحب والأمن لا فى مرحلة طفولته المبكرة وحدها، بل وفى جميع مراحل حياته أيضا ، إذ بدونهما ، أى عندما يشعر الرجل ، أو المرأة ، بأنه قد أصبح غير محبوب ، أو أن حياته قد أفقرت من الشعور بالأمن ، بدا الصراع الداخلى يتراءى فى شتى صور القلق ، وهذا أمر بالغ الأهمية فى المشاكل التى تعترض المراهق.

فسبب مخاوف المراهق ، كما ذكرنا ، مرتبط بالغريزة الجنسية التى تحقق فى كبت نزعاتها . وكأن ما يخشاه فى الحقيقة هو تلك النزعات الجنسية وإن كان يعتقد خطأ أن مبعث خوفه هو الشىء أو الشخص الذى اتجه إليه انتباهه واهتمامه . ولهذا يخشى الفتيات . والسبيل الوحيد لتخليص نفسه من مخاوفه هو مبادلة فتاته الحب ، واستمتاعه بالخبرة التى تتيحها له ثقته بها ، بحيث يحس الأمن فى وجودها إلى جانبه .

ومعنى هذا أن إعداد الجماعات البشرية المتحضرة « إعداداً جنسياً » يكون أشد تعقيداً من مجرد « التعليم الجنسى » .

وتسير بعض البلاد على نظام التعليم المختلط فى جميع المراحل من مدارس الحضانة إلى الجامعات ، فى حين ينظم التعليم فى بعض البلاد على أساس الفصل الدائم بين الجنسين منذ وقت مبكر . كما أن بلاداً أخرى تمزج بين النظامين ، إذ تفصل بين الجنسين فى مرحلة الدراسة الابتدائية ، ثم تجمع بينهما فى المرحلة الثانوية ، أو العكس ، ثم يكون التعليم مختلطاً فى الجامعات . وكثيراً ما يكون الفصل أو الجمع أمراً مرتجلا ، وليس نتيجة

لاعتناق مذهب تربوى معين .

ويتخذ الاعتراض على التعليم المختلط ، وخاصة فى مرحلة المراهقة ، صوراً شتى . فيقال من الناحية التربوية أن الذكور يحتاجون إلى مناهج تختلف عن المناهج التى تلائم الإناث ، كما أنهم يختلفون عنهن فى درجة النمو والميول العامة . أما المبررات الأخرى التى يستند إليها مثل هذا الاعتراض فتتلخص فى القول بأن اختلاط الجنسين يفضى إلى إضعاف اهتمام كل منهما بالآخر ، ويقضى على تبادل الاحترام بينهما بسبب غياب عنصر الغموض ، ويترتب على ذلك أن يلعب البنين والبنات معا ، ويتزاملون ، ويتصادقون ، ولكنهم لن يحسوا نحو بعضهم لبعض بأى ميل عاطفى . وقد يصر بعض الناس أيضاً على أن التعليم المختلط لا يعوق نمو هذا الحب ، بل يعمل دوما على تقويته ، ومن ثم فهو عامل معطل لنمو الناشئين . ولهذا توقع الكثيرون فى الحرب الأخيرة أن يفضى اختلاط النساء بالرجال فى الأعمال الحربية ، ومقاومة الغارات الجوية ، إلى أخطار أخلاقية واجتماعية . ولكن تلك النبوءات لم تتحقق ، فكثيراً ما اختلط الرجال بالنساء اختلاطاً ناجحاً فى العمل ، وقاعات الدرس ، والمطالعة والمحاضرات ، وشتى نواحى الحياة ، حيث تتوافر الفرص للتنافس والتعاون . وقد أجمع الرأى على أن كثيراً من البطاريات المضادة للطائرات قد نجحت فى عملها أكثر من غيرها بسبب إشراف فريق مختلط من الرجال والنساء على إدارتها ، وإن كان جانب كبير من هذا النجاح راجعاً إلى كفاية

الضباط المسئولين عن تنظيم العمليات فى تلك الوحدات .

وهذا بعينه يصدق على المدارس التى يكون التعليم فيها مختلطاً ، إذ يتوقف النجاح فيها على ما تيسره من فرص للتعاون والمنافسة بين البنين والبنات . ولا بد فى حالات اختلاط الذكور بالإناث فى المدرسة أن يكون هناك غرض مشترك لهذا الاختلاط . ففى حجرات الدراسة يكون هـذا الغرض هو التعليم ، أما خارجها فقد يكون إخراج إحدى المسرحيات ، أو الرقص ، أو الألعاب الرياضية ، أو الاشتراك فى نشاط إحدى الجمعيات المدرسية . ففى كل هذه الأمور جميعاً يلتقى أفراد الجنسين بقصد الزمالة ، فلا يفكر التلاميذ فى التلميذات على أنهن إناث ، ولا تفكر التلميذات فى التلاميذ على أنهم ذكور ، بل تكون اتجاهات الجميع وسلوكهم فى علاقات بعضهم ببعض محدودة قبل كل شىء بأوجه النشاط المشترك الذى يؤدونه . فالحفل الراقص مثلا ، الذى ينظم تنظيما سليما ، لا يعلم الفتيان كيف يختارون رفيقاتهم فحسب ، بل يعلمهم أيضاً الطرق المثلى لتقديم أنفسهم إليهن عند طلب مراقصتهن ، كما يعلم الفتيات كيفية قبول طلب المراقصة أو رفضه بشكل مهذب . كذلك يعلم الفريقين ضرورة إتقان الرقص كى تكون رفقتهم ممتعة مقبولة . وهكذا يحس الجميع بوجود طائفة من قواعد العرف الاجتماعى ، يستطيعون بذكائهم فهم نفعها والحكمة منها . فإذا كان المشرفون على تنظيم مثل هذه المناسبات ينظرون عليها لا على أنها مجرد وسائل للتسلية ، بل على أنها فرص تساعد على نمو المراهق ، وتدرب الفتيان

والفتيات على الاختلاط السليم ، وفهم كل منهم للآخر ، كما تهذب من أساليب معاملتهم ، وتصقل سلوكهم ، وتقضى على ما قد يعتريهم من الخجل وسيطرة الأفكار الجنسية ، فما لا ريب فيه أن هذه المناسبات تصبح ذات فائدة جليلة الشأن فى تربية المراهقين .

وفى مثل هذا النوع من التربية يمكن لنظار المدارس أن يستعينوا بجهود كبار المراهقين الذين تلقوا قدراً منها ، وفهموا أهدافها ومراميها ، إذ مما لا شك فى فائدته أن يعهد إلى هؤلاء الكبار أمر الإشراف على نواحى النشاط المختلفة الخارجة عن المنهج .

وإن من مزايا إطالة فترة التعليم فى بريطانيا فى الوقت الحاضر ، وإنشاء الأنواع المختلفة من المدارس الثانوية ، إتاحة الفرصة لعدد كبير من المراهقين للانضمام إلى الجمعيات النافعة المختلفة . بينما كانت مغادرة المدرسة فى سن مبكرة فيما مضى ، واقتحام مضمار الحياة الصناعية والتجارية ، سبباً فى جعل الاستفادة من وقت الفراغ أمراً تتحكم فيه المصادفة إلى حد كبير . إذ كان فى مقدور نفر من المراهقين الالتحاق بالأندية والجمعيات ، والاستفادة منها . فى حين أنه لم يكن وسع الآخرين ، وهم الغالبية ، أن يستغلوا فراغهم فى غير ارتياد المسارح ، ودور السينما ، وصالات الموسيقى والغناء ، أو التردد على ميادين سباق الخيل أو الكلاب أو السيارات ، أو الذهاب إلى المراقص للرقص . ولم تكن تلك الأماكن بالبيئات الصالحة للالتقاء بأفراد من الجنس الآخر ، والاشتراك معهم فى أعمال مفيدة ، وتوثيق عرى التعارف بينهم

عن طريق التعاون فى العمل النافع ، أو اللعب المجدى ، أو عن طريق مشاركتهم فى شتى الاهتمامات الجسمية والعقلية والجمالية .

ومن الضرورى أن يفهم حديثنا عن اتصال البنين والبنات بعضهم ببعض ، وتعارفهم ، على أنه يتضمن علاقة عميقة تتجاوز حدود مجرد الإشباع الجنسى . فقد يتم إشباع الغريزة الجنسية باتصالات عابرة تافهة تختلف كل الاختلاف عن ذلك الاتحاد القوى الدائم الذى تقوم عليه المجتمعات وحياة الأسرة . إن الغريزة الجنسية وإشباعها عنصر هام فى هذه الرابطة ، وفى قيام الأسرة ولكنه ليس العنصر الضرورى الوحيد . بل هناك إلى جانبه ما للرجل والنساء من قدرات بوصفهم كائنات بشرية ، ومن حاجة إلى الحب والأمن ، وإلى تأكيد الذات بشكل معتدل سليم ، وإلى اعتماد بعضهم على بعض . وإن عاطفة كهذه لا تظهر دفعة واحدة ، بل تنمو على مر الأيام نموا يزداد تماسكا وقوة أثناء حياة الفرد جميعها . فاتجاه الفتى إزاء الفتاة ، وموقف الفتاة حيال الفتى ، يبدأ مع الخبرات الأولى المتصلة بالأم والأب والأخوة والأخوات ، وينمو فى الصباعن طريق الخبرات فى المدرسة والملعب ، ثم يتطلب نموه أثناء سنوات المراهقة تكامل النزعات الجنسية التى قد تهدد استقراره ، وتعترض سيره ، إذا لم يحد التعليم والتدريب من عنفوانها وتلك هى المشكلة التى كنا بصدد مناقشتها فى هذا الفصل ، وهى مشكلة جعل النزعات الجنسية العارمة تتكامل تكاملا سليما لتصبح تركيبا جنسياً ناميا يجعل النمو النهائى للفرد وحدة متماسكة من المشاعر والرغبات تتخذ من الارتباط الدائم هدفها النهائى .

الفهرس

		صفحة
الفصل الأول :	ما المراهقة ؟	٣
الفصل الثانى :	الجنس والمراهقة	٢١
الفصل الثالث :	أسطورة البطل	٤٤
الفصل الرابع :	الصراع والسلوك	٧١
الفصل الخامس :	التعلم للكسب .	٩٩
الفصل السادس :	النمو فى محيط الأسرة .	١٢٨
الفصل السابع :	التعبير الإنشائى .	١٤٤
الفصل الثامن :	مشكلة الجنس .	١٦٧

obeikandl.com

قائمة مطبوعات اللجنة

			ص
١	— يسألونك	: الأستاذ عباس محمود العقاد	٢٥
٢	— أثر الشرق فى الغرب ...	: الدكتور فؤاد حسانين ...	١٥
٣	— قصة الكهرباء واللاسلكى	: الأستاذ محمد عاطف البرقوق	٢٥
٤	— مشكلاتنا الإجتماعية ...	: الأستاذ محمد عطيه الإبراشى	٢٠
٥	— الحبشة	: « حسن محمد جوهر	٢٠
٦	— الغزل عند العرب	: « حسان أبو رحاب	٢٥
٧	— عائشة أم المؤمنين	: الآنسة زاهية مصطفى قدورة	٢٥
٨	— الفلسفة القرآنية	: الأستاذ عباس محمود العقاد	٣٠
٩	— أحاديث الصباح	: الشيخين محمود شلتوت ومحمد المدنى	١٥
١٠	— أبطال الشرق	: الأستاذ محمد عطيه الإبراشى	١٥
١١	— أبو العتاهية	: « محمد أحمد برانق ...	١٥
١٢	— الراهبة المتوحشة	: دكتور عباس إبراهيم حسن	١٠
١٣	— المهد الذهبى	: الأستاذ وهبى اسماعيل حقى	١٠
١٤	— صرخة فى واد	: الأستاذ محمود غنيم	٣٠
١٥	— الصحافة والصحف ...	: المرحوم الأستاذ عبد الله حسين	٢٥
١٦	— ولاده	: الأستاذ على عبد العظيم ...	١٥
١٧	— اللعب والعمل	: دكتور على عبد الواحد وافى	٨

obeikandi.com

١٨ — من كل نبع قطرة ... ... : الأستاذ حسن محمد جوهر ٦
١٩ — عبد الله بن قيس الراقيات ... : الأستاذ على النجدى ناصف ١٥
٢٠ — الاستعمار الفرنسى ... ... : الأستاذ أحمد رمزى ... ١٥
٢١ — الوزراء العباسيون ... ... : « محمد أحمد برانق ٢٠
٢٢ — سحر العطور ... ... : « أحمد على الشحات ١٢
٢٣ — أكسير الحياة ... ... : الدكتور محمود محمد سلامة ٢٠
٢٤ — دراسات فى علم النفس الأدبى : الأستاذ حامد عبد القادر ٣٠
٢٥ — التيارات السياسية فى حوض البحر الأبيض :
الأستاذ محمد رفعت أحمد بك ٥٠
٢٦ — مسلم بن الوليد... ... ... : الأستاذ حسن علوان ... ٢٥
٢٧ — الإسلام والديمقراطية ... : معالى محمد على علوبة باشا ٥
٢٨ — فقه اللغة ... ... : دكتور على عبد الواحد وافى ٥٠
٢٩ — علم اللغة ... ... : دكتور على عبد الواحد وافى ٥٠
٣٠ — كيمياء المعادن ... ... :
دكتور محمود يوسف الشواربي ١٠٠
٣١ — طب الطبيعة ... ... : الأستاذ محمد عاطف البرقوق
٣٢ — أحلام اليقظة ... ... : تأليف دكتور ج . ه . جرين
ترجمة إبراهيم حافظ... ... ...
ومراجعة زكى المهندس بك ...
٣٣ — رفاعة الطهطاوى بك ... : الأستاذ أحمد أحمد بدوى ...
٣٤ — فلسفة أبى العلاء ... ... : الأستاذ حامد عبد القادر ...